ALI SHARIATI

الآثار الكاملة (٢٤)



علي شريعتي



حسن ومحبوبة



قصة حسن ومحبوبة


بسم الله الرحمن الرحيم

سلسلة الآثار الكاملة ـ ١٥ ـ

قصة حسن ومحبوبة

الشهيد الدكتور علي شريعتي

ترجمة

موسى قصير

مراجعة

حسين علي شعيب

دار الأمير

إسم الكتـــاب : قصة حسن ومحبوبة

إسم المؤلـــف : د. علي شريعتي

إسم المترجم : موسى قصير

تنضيد وإخراج : زهرين

تصميم الغلاف : بشير محمد

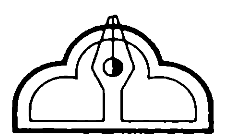
الترقيم الدولي : ISBN 978-9953-494-25-8

الطبعة الأولى : ١٤٢٧ هـ ـ ٢٠٠٦ م

الطبعة الثانية : ١٤٢٨ هـ ـ ٢٠٠٧ م
(بعد تدمير الدار خلال حرب تموز ٢٠٠٦ م)

الناشـــــــــر : دار الأمير للثقافة والعلوم ش.م.م

التوزيع في العراق:
دار الباقر ــ النجف الاشرف هـــ :07801263579



دار الأمير للثقافة والعلوم
مؤسسة ثقافية للتأليف والترجمة والنشر ـ بيروت ـ لبنان

تلفاكس: 49 64 27 1 961+
ص.ب: 113/5551 الحمرا ـ بيروت ـ لبنان

Website: //http:/www.daralameer.com
E-mail: daralameer@daralameer.com



مؤسسة نشر آثار
الدكتور علي شريعتي

تلفاكس: 2232729 21 98+
ص.ب: 6516-19395 طهران
www.shariati.com

وتستمر دار الأمير...

إذا كانت مسؤولية المثقف تجاه أمته وتحديات لحظتها التاريخية هي الهم والرسالة التي حملها علي شريعتي، فإن نشر فكر الوعي الحضاري بدوره مسؤولية، إذ كيف يصل هذا الفكر للناس دون ناشر مسؤول؛ يعطيه العناية ويكفل أن يظل هذا الزاد الثقافي حاضراً في الوعي؛ متاحاً للأجيال لتنهل منه في صياغتها لرؤى التجديد والنهضة وتستثمره في حركة التغيير وصناعة المستقبل.

وقد وعت دار الأمير هذه المسؤولية منذ تأسيسها عام ١٩٩١م، وحملتها بأمانة، وتحملت تبعاتها المادية والمعنوية في مواجهة حسابات السوق وفكر الجمود، ورغم الدمار الكُلّي الذي لحق بالدار في حرب تموز ٢٠٠٦م، والذي كان أول ضحاياها كتب علي شريعتي التي أحرقتها صواريخ الهمجية الصهيونية؛ حين دكّت مقرّ دار الأمير في بيروت ومعرض الدار في بنت جبيل، فإن إرادة البقاء وعزيمة الإنتصار بقيت متوهجة، وها هي دار الأمير تستأنف دورها ونضالها بعد أشهرٍ معدودةٍ من العدوان، وتقدم من جديد فكر شريعتي في إخراج متميز، وتنهض من بين الركام مستعيدة دورها المسؤول في نشر ثقافة العودة إلى الذات، والنهضة، والمقاومة في مسيرة الفلاح التي شعارها: **إلهي علمني كيف أحيا . . ، أمّا كيف أموت، فإني سأعرفه**. والحمد لله الذي نصر عبده.

محمد حسين بزي

كلمة الناشر

باسم الله الذي تطمئن القلوب بذكره..

إن هذا الكتاب هو نص لشريط تسجيل للدكتور شريعتي أملاه بعد أيام من سماعه نبأ استشهاد حسن ومحبوبة ابني أصدقاء أعزاء له، وقد تأثر كثيراً واغتمَّ، والشريط سجله كنجوى وهو وحيد، وبعد إنهاء تسجيله أرسله إلىٰ والدي محبوبة، لأنه لم يتمكن من حضور مجلس تأبينهما لأسباب سياسية، لذلك قد يظهر نقص ما فإنه يعود لهذا الأمر. ونأمل أن ينال هذا الكراس رضا القراء الأعزاء.

كلمة المترجم

بسم الله الرحمن الرحيم

كلَّما قرأت للدكتور علي شريعتي وترجمت من كتاباته أدركت أكثر فأكثر سبب تحامل الكثيرين عليه، فكتاباته تأتي للواقع القائم من حوله فتتصفحه جيداً، وتغور فيه نقداً، ثم تنتفض عليه، وكأن كلام الدكتور مصابيح ساطعة وعدسات مكبّرة تبرز للإنسان مواقع أورامه، ومعظم الناس يخشىٰ مبضع الجراح رغم علمه أن نجاته في إعمال المبضع واجتثاث الخبث. ولا غرابة في ذلك فكتاب الله الخاتم القرآن المجيد صرّح في أكثر من أية أن أكثر الناس للحق كارهون أو لا يفقهون، وهو يستعرض تعاملهم مع كلام الله العزيز، فكيف بك وهم يتعاملون مع كلام مفكر ثوري منتفض علىٰ واقع كان يعيشه في عهد الطاغوت داخل إيران حيث الحاكم الظالم

والطبقة المرفهة والمفكر اللاهث وراء مصطلحات الغرب والمرأة الجسد المضللة بالدعاية والدعابة وأشباه العلماء من وعاظ السلاطين المسبحين بحمد الشاه وزبانيته والمتقاعسين من العامة.

لكنه رغم ذلك كله كان يجد ومضات مضيئة هنا وهناك تسحره بيقظتها وأصالتها، فيهب بالأمل ويستنهض الأخرين للتأسي بها، ومن بين الذين سحروه وأخذوا لبه كان الإمام الخميني الراحل الذي قال فيه:

إن كنتم تبحثون عن دماء الحسين فهي تجري في عروق الخميني. وكان له لقاء سريع قبل رحيله مع الإمام موسىٰ الصدر وكم تمنىٰ لو تدوم العلاقة بينهما، لكن الأجل وافاه في لندن، ثم اختطف الصدر من بعده.

في هذه القصة يستعرض الدكتور شريعتي كل الواقع الإيراني في عهد الطاغوت، وهو يشبه إلى حد كبير الواقع في معظم الدول الإسلامية آنذاك، بل وبعضها الآن أيضاً. ومن خلال نقده الثنائي يحاول طرح الأجوبة على اليأس المخيم آنذاك. وقد نال بسبب هذا وغيره مما كتب وأملىٰ السجن

والنفي ثم الموت غيلة أو قهراً. لكن كتبه كلها كانت شرارة ساهمت في انطلاقة الثورتين الجزائرية والإيرانية، وأدىٰ دوره فيهما ولو كره المتقاعسون.

موسى قصير

كان ياما كان. . .

وغير الله أحد ما كان. . .

كان هناك قرية متروكة كخربة. . .

بقيت إلى جانب الصحراء. . كسطر من كتاب تاريخ قديم وقد محيت حروفه. . .

قد جفَّ ماؤها،

ويبست بساتينها،

وتشوّهت صحراؤها،

بيوتها سوداء. . قد طلاها الدخان

والشبابيك مغلَّقة.

لا ماء. . ولا بناء. . لا أذان،

وبين الحين والآخر يمزق سكون الليل نعي البوم. . ولكن. . عند مقبرة القرية وحولها حركة ذهاب وإياب. . واجتماعات وضجيج وصراخ ونواح وعزاء وتردد. .

في هذه القرية عدد من المعممين وشيخ وسيد وكاتب أدعية وطارد جن، وعدد من أصحاب المحلات والممولين وآكلي الربا، وكالعادة في كل مكان فإن هاتين المجموعتين علىٰ تفاهم ووئام. وعلىٰ رأسهم جميعاً حاكم سيء، وهؤلاء من حوله كأذياله. وأخيراً ظهر عدد من الصعاليك، وهم الأطفال الذين ذهبوا إلى المدينة وأدّوا الخدمة العسكرية، أو كانوا خدماً في بيوت الأعيان، أو من الجوالين والمتشردين، وقد عادوا بهدايا المدينة من صرعات وعادات غريبة، وتبعهم آخرون ممن تعلموا من المدينة والتمدّن أشياء التقطوها في مواقف سيارات القرية من السائقين ومساعديهم الذين يقضون يومهم في التنقل. أما الباقون فهم الرعية، وهم أشياء بين الحيوان والإنسان، ليس فيهم نور ولا حرارة ولا أمل ولا إيمان، بل وحتى في منامهم لا يتمنّون الحياة الإنسانية الكريمة.

وفئة من أبناء المدينة جاءوا والتقوا بشرطي القرية،

واتفقوا معه وتناغموا ليستخدم قوته ومنصبه وعلاقاته، ومن الخوف الذي تطلقه شرارات عينيه، ليجعل من شبان القرية تافهين، ومن نساء القرية وفتياتها ساقطات. وكان معلوماً أن هذه الفئة يريدون الإغارة على القرية، وليأخذوا أراضيها شيئاً فشيئاً، ويستولوا على المياه، ويطوبوا كل شيء بإسمهم. دون أن يعترض أحد. وعملوا طوال أربعين إلى خمسين عاماً بخطة محكمة دقيقة، وعملوا بجد، وتقدموا كثيراً. وكانوا يعلمون من قد يقف بوجههم ويقاومهم. المعممين والملالي والرماليـن وطاردوا الجن؟ هؤلاء ليسوا أهل مقاومة، وأحاسيسهم لن تصل إلىٰ هذه الأفكار، أما الذين تصل أحاسيسهم لهذه الأعمال فإنهم انتهازيون قد وضعوا أيديهم بيد هذه الفئة، وهذا الشرطي فقد اتخذوا من معارضتهم له ألعوبة يلهون بها، إنهم يعارضون هذه الأعمال ظاهرياً، ولكن مخالفتهم بشكل تعبد الطريق له، ويتصرفون مع بنات القرية بشكل جعلهنّ من الخوف والنفرة منهم يتوجهن إلى المخفر زرافات زرافات. وهل تريد من آكل الربا وصاحب الدكان أن يعارض؟ إنهما يستفيدان من هذا الوضع.

وظهرت فئة جديدة تعارض الشرطي، ويعارضون الشيخ

والملا[١] والرمّال[٢] وطارد الجن، ويعادون أصحاب المحلات والمتحولين والمرابين عداءاً شديداً، مشفقين على الرعية، لكن عندما تدقق في أوضاعهم جيداً تجد أن أيديهم بيد فئة في المدينة، ولكن في مدينة أخرىٰ. والصراع بين تلكما الفئتين.

يشكل نموذجاً لصراع تلكما المدنيتين. تلك المدنية أرسلت الشرطة، وهذه المدنية برّزت هذه الفئة لتفتح الطريق أمامها نحو القرية.

في هذه الأوضاع كان هناك معلم يعلّم في مدرسة القرية، وكان يعيش في جو آخر. أفكار تجول في رأسه، ويطلق كلاماً وادعاءات ودعوات، وكان يعرف بعض الأمور. جعبته مليئة بالآلام ويعيش الوحدة. إنه من أبناء نفس القرية، لكنه كان غريباً كالمصاب بالطاعون أو الوباء. قائد الشرطة يقول عنه: إنه يريد قلب القرية. أصحاب الدكاكين والمرابين يقولون عنه: إنه زرادشتي وليس مسلماً. المعممون والملالي يقولون عنه: إنه نجس كافر.

(١) الملا هو الشيخ لكن ليس بعالم الدين، بل يؤدي الطقوس المرتبطة بأمور الناس (المترجم).
(٢) الرمّال هو الذي يضرب بالرمل للحصول علىٰ معلومات مغيّبة (المترجم).

أما الرعية وعامة الناس فإن الأقوال تتقاذفهم، لا يعلمون لأي منها يصغون ويصدّقون. إنه يتكلم بكلام جميل، يتحدث عن الإسلام وعن الله وعن الرسول والإمام. يشرح عن الحياة والأخوّة والعدالة ونبذ الظلم، يدعو الناس لئلا يخدع أحد أحداً، وأن لا ينخدعوا بالشرطة، ولا بترهات الملالي، وأن لا نسمح للمرابين بامتصاص دماءنا، ولا لأصحاب الدكاكين بنهب جيوبنا، يقول لنا: يمكنكم أن تكونوا بشراً أيضاً، تعيشون كما يحلو لكم، وتعمر قريتكم. لكن كلامه لم يتعدّ كونه كلاماً، وكل رأسماله بضعة كلمات وقلم وعدة وريقات. وهل يمكن فعل شيء ما بتلك؟! كان كثير الإدّعاء، كثير الشكوىٰ، كثير الاقتراحات، كثير الحلول. لكنه لم يمتلك ما يثبت صوابه، لا يمتلك حجة ولا شاهداً يثبت صحة كلامه؛ لذلك لم يكن هناك من يشهد له بحقانيته.

يا الله.. لقد تحققت معجزة من جديد، ووقعت حادثة، حيث ظهر إثنان، لا أدري هل جادت بهما الأرض فانبثقا عنها؟! أم أنهما سقطا من السماء كالغيث؟ أم أنهما أتيا من عالم آخر؟ وكأنهما ملكين قد انتحلا شخصية البشر! أمرهما عجيب!

إنهما صبي وفتاة. عروس وعريس، لكن أي عرس وأي عشق! إنها قصة مثيرة. يا إلهي هل سيكون اليوم الذي أتمكن فيه من التحدث عن قصة عشقهما. كانا كويس ورامين وكليلىٰ وقيس وكخسرو وشيرين[١]، بل وأكثر مما سطّر في القصص من قبل! كانا كروميو وجولييت، يعيشان سعادة من نوع آخر، وزواجهما زواج آخر، علاقة مميزة، علاقة لم تعرف الأرض مثلها. موضوع لم يتناوله شاعر ولا رسام ولا قاص.

نعم لقد حلّ أخيراً ذلك اليوم، وبرز أثر جهد المعلم، وانفتح الطريق أمامه، وتحولت كلماته إلى فعل، وبرز شاهد على ادعاءاته تلك. حيث كان يقول للنساء والفتيات: أيتها الفتيات والأخوات كل ما ترونه هو من مؤامرات العدو، كلها خطط ومؤامرات، إنهم يريدون أن يسلبوكنَّ كل شيء، إنهم تحت شعار تحرركنّ يريدون أن يجعلوا منكنّ متهتكات، وتحت شعار الحداثة والتجدد يريدون أن يجعلوكنّ فاحشات. يريدون أن يتخذوكنّ إماء مستباحات. يريدون أن تجرّوا الشباب نحو الرذيلة، وتسلبوهم عنفوانهم وعقولهم،

---

(١) هي أسماء المتيمين ورد ذكرهم في القصص يراوحون بين الحقيقة والخيال (المترجم).

وتغيروا الناس وتلوثوا حياتهم. يريدون أن يسوقوكنّ نحو الرذيلة، لتقضين بذلك على كل القيم، وليدفنوا بذلك أصالتكنّ وعفّتكنّ وإيمانكنّ واستقلالكنّ وشخصيتكنّ الإنسانية ورأسمالكنّ وروحكن وعشقكنّ وتقواكنّ ونجاتكنّ وفلاحكنّ. يريدون أن يجعلوا منكنّ عرائس ورقية. لكن كل واحدة منكنّ يمكنها أن تكون إنسانة حرة. يمكنكنّ الخروج من السجن المظلم للرمّال وكاتب الأدعية، يمكنكن أن لا تجعلن من أنفسكنّ فاحشات عند مداخل المواقف. كل واحدة منكنّ تمثل جوهرة إلهية تصدر عنها المحبة والعشق ولطافة الحياة ومعنىٰ العلاقة الإنسانية. هكذا انتنّ، فلا ترتمين في ذلك السوق العفن، ولا تبعن أنفسكنّ فيه.

المعمم يقول: لا يمكن ذلك. والرمال يقول: أمر غير ممكن. فالمرأة المسلمة هي هكذا، والنبي قال لا تعلموا نساءكم، بل علموهنّ الحياكة وسورة النور[١]. هكذا هي المرأة المسلمة، تلك التي ترونها، الضعيفة المكسورة.

الأوغاد يقهقهون ويقولون: ماذا تقول؟ إن كلامك خيالي،

---

(١) ينتقد المؤلف ما نسب للنبيﷺ وإخفاء عشرات الأحاديث المعاكسة وسيرته مع ابنته الزهراء_ف وسائر النسوة (المترجم).

إنه كلام لا طائل منه، فالمرأة المؤمنة مثالها امرأة الرمّال وامرأة كاتب الأدعية وامرأة الملاّ، إنها هكذا دوماً. والمرأة العصرية المتطورة هي تلك التي تراها عند مداخل المواقف كيف تبرز جمالها وتجتذب الزبائن. إنها تستعرض جمالها وتشبع العيون بجسدها، وهل لدىٰ المرأة ما تفخر به سوىٰ جمال جسدها وعرضه، عليها أن تعرضه، فهذا هو حقها.

ويقول المعلم: كلا، إن ذلك هو سجن عصور العبودية، إن ما يجري هي ألعوبة خان الحريم الجديد الذي شرّعت أبوابه أمام كل الأوغاد والشاذين. وبين هذه وتلك لا بد من البحث عن شخصية للمرأة مختلفة ينبغي أن تتحلىٰ فتياتنا بتلك الشخصية، أن يؤدين دوراً فاعلاً بدل التقليد والتشبّه بالرجال والتصنّع، أن يمتلكن شخصية مستقلة يعجز أي رجل عن الاستعاضة عنها.

لكنهم يتساءلون: ماذا يقول هذا؟ وكيف يكون ذلك؟

لا ندري عن أي شخصية يتحدث، وأي إمرأة يصف، كيف يمكن ذلك وكيف هي تلك الفتاة التي تتحدث عنها وتدّعيها وتأمل بوجودها وتصفها وتقترحها وتتوقعها؟ وهل

يمكن أن تعدّ؟ وهل يمكن أن تكون في مثل هذه المرحلة وهذا القرن وهذه الثقافة وهذا الإعلام وهذه الحياة، وفي مثل هذا السوق وهذا المحيط؟ ومثل من ستكون، ومثل ماذا، وكيف؟

فيردّ المعلم ببساطة: إنها مثل محبوبة، نعم مثل محبوبة.

ويقول الملا: إن فاطمة وخديجة وزينب من طينة أخرىٰ، خلقن من ماء وطين آخر، لسن من عامة البشر. فحسب الرواية الموجودة عندما خلق الله آدم عليه السلام كان نور النبي قد سبقه لآلاف السنين وهو يتلألأ في الملكوت الأعلىٰ. فدخل ذلك النور صلب آدم وانتقل من نسل إلى نسل حتى استقر في صلب هاشم، ثم انفلق إلىٰ اثنين، جزء في صلب أبي طالب وجزء في صلب عبد الله، فكان محمد وعلي، وانتقل النور كله إلىٰ فاطمة، ومنها إلىٰ زينب. فإذا كانت زينب علىٰ ما هي عليه فإنها كذلك بسبب ذلك النور. وإن كانت فاطمة علىٰ ما هي عليه فإنها كذلك بسبب ذلك النور. لا يمكننا أن نتوقع من فتاة هذا العصر أن تعيش حياة زينب، ولا أن تقيم عرساً كعرس فاطمة، وأن تتحلىٰ بشخصية إنسانية كفاطمة وزينب. لا يمكن التشبه بهما، لا

يمكن الاقتداء بهما، لا يمكن اتخاذهما أسوة ومثالاً يحتذىٰ. لسنا من طينتهم، والإنسان العادي لا يمكنه أن يمتلك تلك الملكات والفضائل. أمامنا طريق واحد وهو أن نتخذ من تلك الشخصيات شفعاء لنا، وأن نخفف من ذنوبنا بولايتهم ومحبتهم، أن يكونوا وسطاء وشفعاء لنجاتنا. . أن يأخذوا بأيدينا، وأن تأمل النجاة بهم رغم ضعفنا وذنوبنا من خلال محبتهم وشفاعتهم والتوسل بهم وعشقهم. هكذا فقط، وإلاّ فأين نحن وأين هم؟

ويقول المعلم: كلا، إن رسالة فاطمة هي أن تعدّنا مثلها، وعلىٰ كل فرد منّا أن يكون كفاطمة وكزينب. وكل فتاة يمكنها أن تكون كفاطمة، بل من واجبها أن تكون كفاطمة. أن تكون في بيت أبيها (أم أبيها) وأن تشارك أمها وحدتها وآلامها وسجنها. أن تكون كفاطمة شريكة آلام علي، وأن تختار رجلاً زوجاً لها رغم فقره، رغبة في عظمة روحه ومن أجل شهامته الإنسانية وفكره السامي وجمال روحه ووجوده. أن فتاة العصر يمكنها أن تقتدي بفاطمة في عرسها، بل عليها فعل ذلك. وأن تعيش في بيته الفقير تجرش القمح وتطحن وتعجن وتخبز حتى ترك ذلك أثره على جسمها النحيل، خلا

بيتها من أي شيء سوىٰ الفقر والمحبة، وكانت رغم ذلك امرأة مسؤولة، تمارس المسؤولية الإجتماعية وتعيش في قلب الحدث السياسي لمجتمعها وضمن صراع الحق والباطل، نهضت في مواجهة المؤامرة التي استهدفت حركتها وثورتها وإيمانها وشعبها.

نعم يمكن للمرأة أن تكون زينبية كالأسد بوجه الذئب، تواجه القوة والزور والجريمة والجلادين.

وكيف ذلك؟.

مثل (محبوبة).

ويضيف المعلم: إن معنىٰ الحياة في الإسلام والتشيّع هو «إن الحياة عقيدة وجهاد» إن الماء والخبز اللذين يغذيان الإنسان المسلم ويشكلان استمرار حياته هما: العقيدة والجهاد في سبيل العقيدة.

يقول الرجعي: لكن محمد وعلي والحسين هم القادرون علىٰ تلك الحياة، والعيش بتلك الطريقة.

ويقول المتجدد: تلك مثاليات وخيال، إنها إيديالية مطلقة. فقد كوّن الإنسان علىٰ أساس الغريزة، وميوله الغريزية هي التي تحركه، وهي التي توجهه. فاعداد الإنسان

لنفسه مع وجود المحيط والدعوات والإعلام والنظام الطبقي والنظام الاقتصادي والنظام السياسي وكل القوىٰ والمؤثرات التي تصوغ الإنسان حسب قوالبها، إن مطالبة الإنسان بإعداد نفسه رغم كل تلك المؤثرات يعدّ دعوة لاجتراح معجزة، والمعجزة غير ممكنة عملياً. فالشاب المعاصر لا يمكنه أن يبني نفسه طبق القيم الأخلاقية المطلقة، وحسب الشعارات التي نمجد بها الأبطال وأرباب النوع البشري، وليجعل من وزن بدنه كله عشقاً وطاعة وخلوصاً وفداءاً للإيمان، فذلك أمر غير ممكن.

ويقول المعلم: بل هو ممكن، يمكنك ذلك، إنه أمر عملي يمكن تطبيقه.

ويقولون: وكيف ذلك؟

فيقول: مثل (حسن).

الواقعيون أو دعاة التسليم للوضع الموجود قالوا: لقد تغيرت الثقافة اليوم، وتغير الإنتاج، وتغير التعليم، وتغيرت التربية، وتغيرت الأصوات. لم تعد الشخصية المثالية للفتاة جان دارك ولا زينب وفاطمة وخديجة، بل أضحت السيدة

توئيكي وبريجيت باردو وغوغوش[١]. تلك هي أصنام هذا العصر، إنها أصنام هذا الجيل، وأسوات بنات عصرنا. إنهم يربونهنّ ليل نهار علىٰ أساس هذه القيم ويعلمونهنّ دوماً بما ينطبق مع هذه النماذج والظروف. فالفتاة اللائقة التي تصاغ على أساس هذه القوالب وهذه الظروف ويعدّ على أساسها أيضاً الاستثمار وعلم الإجتماع وتربية الجيل والتربية والتعليم والفن والأدب كلها تصاغ طبق تلك المواصفات.

ويقول المعلم: لكن المعجزة الإنسانية تمنح فتياتنا القدرة لو عادت إلىٰ ثقافتها وإيمانها وتاريخها، وإذا ارتبطت بإيمانها ونبع الإسلام البنّاء، يمكنها رغم الظروف الحاكمة والعلاقات التي فرضها الغرب والقرن؛ يمكنها أن تصنع ثورة وتغيّر وترفض كل الواقع المفروض، وأن تقول كلا لكل المؤامرات التي حيكت لتبديلها خلال نصف قرن، ولتجعل من المرأة المسلمة ألعوبة غربية.

ـ ولكن كيف يكون ذلك؟ إن هذا خيال محال، إنها مثالية، إنه تصور ذهني صرف لا يمكن تحقيقه.

(١) أنها أسماء لشهيرات غربيات وإيرانيات من مغنين وممثلين (المترجم).

ويقول المعلِّم: تسألون لماذا؟ وكيف؟ مثل من؟ إنها مثل محبوبة . .

المتجدد يقول: لقد انتهت رسالة الدين. إن قرننا ليس القرن الذي يمكن فيه للدين أن يشكّل عاملاً بنّاءاً ومطوراً ومعدّاً للإنسان فأساساً قد انتهت مرحلة الدين، وهرم الإسلام، فإذا كان قد أدىٰ في عصره دوراً تقدمياً وقدم للتاريخ أناس ثوريين ومتجددين، فدوره اليوم رجعي وقوة ميتة. علينا اليوم اتّباع العلم، علينا اتّباع عقيدة ثورية تقدمية غير دينية. فلم يعد الإسلام مجدياً، انظروا إلىٰ أتباع الإسلام ترونهم جيل مستهلك جامد قديم لا رمق فيه، ليس له هدف وعاجز عن التحرك ولا يحمل أفكاراً متجددة. تلك هي النماذج العينية للإسلام وللإنسان الذي يعدّه الإسلام في عصرنا.

ويقول المعلم: كلا، إنهم أُطر جامدة لصقت نفسها بالإسلام، إنها قوالب موروثة صنعت خلال فترة الإِقطاع وعلىٰ يد أنظمة الخلافة والسلطنة الماضية. إنهم ليسوا من إعداد العقيدة الإسلامية، إنهم نتاج المعارف والعلوم القديمة، وتلك المعارف تختلف عن المعارف الإسلامية، وتختلف عن المعرفة العقائدية للدين. وإذا تعرفنا بوعي علىٰ الدين كعقيدة،

وإذا فهمنا ـ بوعي ذاتي وثوري وتقدمي ـ التشيّع كمذهب يصوغ الفرد والمجتمع ، يمكننا خلال عدة سنوات فقط أن نلحظ كيف يمكنه أن يبدّل فطرة الإنسان ، ويغيّر قيمه بشكل مفاجىء وسريع ، ليحوله من إنسان حقير وعادي ومجهول ، ومن فتاة أعدّت للعيش والفرح وتناول السندويشات ومشاهدة التلفزيون وقراءة مجلات المرأة ؛ يمكنه بشكل مفاجىء أن يحول كل منهما إلى إنسان قريب جداً من أجمل وأسمىٰ وأكثر شخصيات البشر والتاريخ تضحية .

ما يزال الدين قادراً علىٰ فعل ذلك ، ما زال الإسلام قادراً على أن يقلّب القلوب بشكل إعجازي ، كما فعل ذلك خلال أربعة عشر قرناً .

ـ كلا ، إن ذلك ادعاء وخيال وتعصب ، إنه أمر غير ممكن .

ويقول المعلم : بل هو ممكن ، بل وموجود ، لدي الدليل ، إنها محبوبة .

ويقولون : إنّ الدين التقىٰ مع الرأسمالية وتظافرا بشكل جوهري . كما إنّ الزهد الذي يدعو إليه الدين هو زهد تصوفي ، وإن الزهد الثوري ليس موجوداً إلاّ في عقيدتنا .

ويقول المعلم: إنّ زهد (علي) ليس زهداً صوفياً، فعلي لم يكن متصوفاً، بل كان علي أكثر رجال التاريخ ثورية، و(محمد) هو الرجل الذي خاض خلال تسعة أعوام، سبعين حركة عسكرية وجهادية، والرجل الذي أوجد خلال عشرة أعوام أمة جديدة علىٰ هذه الأرض، أمة استطاعت بقدرتها وأبعادها الوجودية أن تزلزل الزمان وكل القوىٰ المتسلطة على الزمان والقوىٰ الكبرىٰ في عصرها خلال عدة سنوات من ولادتها، فهل هي أمة متصوفة؟ وعليه فإنّ الزهد الذي يدعو له الإسلام هو زهد ثوري. وأئمتنا يعتبرون أنّ الزهد نقطة دعم كبرىٰ لتحقيق الحرية والاستقلال والخلاص لوجود الإنسان المسؤول والمجاهد، وأنه قاعدة لمواجهة التوجهات البرجوازية والرأسمالية والطبقية والتوجه الإستهلاكي.

ـ كل ذلك إدعاء. إنّ الأسرة المسلمة هي الأسرة التي نرىٰ نماذج كثيرة منها، إنها أسرة يتحكم فيها الأب، الحاكم المطلق فيها هو الرجل، فهو رب البيت، والمرأة فيها أداة جنسية في خدمة الرجل، ليس لها شرف ولا احترام، ليست مستقلة، مسلوبة الإرادة، ليس لها دور، إنها سجين محترم في حرمها.

يقول المعلم: الإسلام جعل بنيان الأسرة قائم على

قاعدة إنسانين متكاملين، لقد بنىٰ العلاقة والرابطة بينهما علىٰ أساس الإيمان والمسؤولية والمحبة، وللمرأة دور في الأسرة وحق وشخصية توازي الرجل ولا تتعارض معه، وكلاهما متساوٍ ومسؤول في إطار أسرتهما، ويتحملان مسؤولية متساوية في مسيرة الإيمان ورسالة الزمان وأمام الخلق. إن الأسرة المسلمة هي أسرة محمد، وبيت علي، الأسوة والمثال، الشاهد والشهيد الكامل عليها. والأسرة الإنسانية المثالية هي وحدة تناسق طبيعي ذات بعدين وجوديين لجسد آدمي واحد، تركيب من إمرأة ورجل ابتكره الإسلام على أساس الإيمان والعشق والرسالة الإنسانية والعقيدة. حيث يختار الرجل زوجته على أساس عقائدي، وهي كذلك حيث تختار المرأة زوجها ملاحظة الجوانب الإنسانية فيه.

ـ هذا أيضاً إدعاء. فالأسرة المتدينة هي أسرة تاجر السوق الحاج، أسرة الملا وزوجته. ففي قم وضواحيها هناك (٤٨) إمرأة تعرف القراءة والكتابة فقط[١]. إنهنَّ ضعيفات

---

(١) هذا الوصف للمرأة خلال الستينات وفي عهد الشاه، وقد تغيّرت بعد انتصار الثورة بشكل أساسي، وأضحىٰ تعليم الإناث إجبارياً، وفاق عدد الجامعيات في كل إيران عدد الذكور في الجامعة حتى بلغت نسبتهن عام (٢٠٠٣م) ٦٢٪ (المترجم).

يفتقرن للشعور والوعي والمسؤولية، مستهلكات دون حدود وقيود وعن جهل البضائع البرجوازية المعاصرة والماضية، أبطال الموائد القذرة. إنّ الأفكار الثورية غير الدينية في عصرنا هي التي يمكنها أن تجعل من الأسرة حلقة اجتماعية وسياسية وفكرية وثورية. هذه العقيدة هي الوحيدة القادرة على جعل الفتاة فرداً مجاهداً، وجعل الزوج بطلاً يضحي بحياته وأبنائه وحبه من أجل أهدافه، ويجعل من حياتهما الزوجية حياة قائمة على أساس عقيدتهما.

ويقول المعلم: كل تلك القيم والأهداف هي تعريف للأسرة المسلمة.

ـ إنه إدّعاء! أين؟ وما هو مثاله؟

ـ بيت حسن ومحبوبة.

ويضيف المعلم: الشهادة تعد في الإسلام أصلاً وحكماً مستقلاً إلى جانب الجهاد. فعندما تجرد جبهة الحق من أسلحتها، وعندما يبسط العدو سلطته المطلقة، ويعجز دعاة الحق عن الدفاع، فإن الإنسان الوحيد والمسلم لا يمكنه أن يستسلم، لأن الإسلام لا يجيز الإستسلام لغير الله، فعندما

يعجز المسلم عن القتال لعدم وجود السلاح؛ عندئذٍ يختار الطريق الثالث وهو الموت الذي يشبه امتشاق السلاح وسحق العدو. تلك هي فلسفة الشهادة «الشهادة استظهاراً على المجاهدة» فالشهادة هي إظهار للحقائق التي يسعون لإخفائها وينكرونها. والشهيد بموته يكشف الستار عن زيف العدو، الشهادة دعوة إلى جميع الأجيال وفي كل العصور تقول للمسلم إن استطعت فاقتل (الجهاد) وإن عجزت عن ذلك فمت (الشهادة). والشهيد بموته يؤدي رسالة، فالمجاهد يقتل عدوه، والشهيد يؤدي رسالة طلاب الحق في عصر العجز.

ـ كيف؟ أين المثال؟ مثل من؟ أي موت؟

المعلم: حسن ومحبوبة.

ويورد المعلم أمثلة وشواهد علىٰ كلامه:

الرجل كعلي علوي الصفات.

ـ شاهدك؟

حسن.

المرأة زينبية.

ـ شاهدك؟

محبوبة.

العرس الثوري فاطمي علوي.

ـ شاهدك؟

عرس حسن ومحبوبة.

العترة الفاطمية: عترة محبوبة.

ورغم الحكومة البرجوازية والثقافة الغربية والعقيدة الماركسية، وفي وجه كل القوالب المفروضة للجو، وانتفاضة علىٰ كل الأفكار الجبرية، ومن بيننا، وفي هذا الزمان، وفي هذا الجو، يمكن أن ينطلق إنسان مسلم وثوري.

ـ كيف يكون ذلك؟ وهل يكون؟

لقد كان.

ـ شاهدك؟

حسن ومحبوبة.

ويتحدث المعلم عن الحج، وعن القصص التي تسطر الثقافة وتاريخ الإسلام. قصة إبراهيم: يأمره الله أن يذبح ابنه

في سبيل العشق. يقبل إبراهيم. ويبشر إسماعيل والده أنه سيكون مسلّماً وصابراً، فاذبحني وافعل ما تؤمر!

إلىٰ أي حدٍّ يكون الإخلاص والإيثار في طريق الإيمان!

ويقولون: هذه القصة بعيدة عن الواقع، سطرها الخيال والمثال.

ويردّ المعلم: بل هي أمر ممكن، فالإيمان يصنع المعجزات، ويمنح الإيمان الإنسان العادي قدرة ماورائية، قدرة ملكوتية وربانية.

ـ إنه إدّعاء، ما هو شاهدك علىٰ ذلك؟

والدي محبوبة.

ويتحدث المعلم عن الصبر.

فيقول الرجعي: نعم، إنه يعني الإستسلام وقبول الظلم والفجائع والجنايات.

ويقول المعلم: هذا هو الصبر الأصغر، والصبر الأصغر هو إسم لسمٍ يؤدي إلى الإسهال، ومادة تستعمل للصبغ والتلوين، وهو اللون الأصغر، هذا هو الصبر الأصغر. لكن

صبر الإسلام هو الصبر الأحمر، والصبر الأحمر شكل من أشكال الشهادة، حيث يتمكن الحي من الاستشهاد.

ـ كيف؟ وماذا يعني؟ ومثل من؟ وما هو شاهدك؟

الصبر الأحمر والدي محبوبة. هذه الجوهرة الطاهرة (معصومة) وذلك المتحمل للآلام (كاظم).

فالإسلام والإنسان قد قدم شاهدين الآن لإثبات حقانيته وعظمته. واختيار الله الآن وردتين حمراوتين من صحراء الحياة الدنيوية، إنه يستنشقهما ويداعبهما. لكن هذا المعلم وحيد متألم، يتلوىٰ من ألم البقاء بعد الشهادة، ويقضي الليالي السوداء المظلمة وحيداً ليس له رفيق سوىٰ آلامه وذكرياته. لقد افتقد شهيدين كانا الشاهدين علىٰ كل ما يدّعيه، وها هو وحيد مفجوع يعيش مع غمومه، خجل من بقائه، لا يحزن أي أحد علىٰ بقائه حياً وحيداً. . .

* * *